عمل الأطفال في الجزائر: الواقع والآثار

صالي عبد العزيز¹، نصيب نعيمة²

1- جامعة باجي مختار - عنابة

zizouguel39@gmail.com

2- المركز الجامعي مرسلي عبد الله- تيبازة

necibenaima@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/09/07؛ تاريخ القبول: 2022/03/18

Children's work in Algeria: Reality and impacts

Sali Abdelaziz, Necib Naima

Abstract:

Children's work is considered one of the social problems that Algeria has known, due especially to the economic and social changes. Any walker in the streets and cities of the homeland will notice large numbers of children engaging in several informal economic activities, especially such as trading, and many other social activities such as cafes, restaurants, car parks, and even in some craft workshops such as carpentry and blacksmiths. The number of working children in Algeria is today constantly increasing, but the official statistics underestimate the importance of the phenomenon due to its informal and not of stated nature, and besides this, that work is circumstantial and mostly seasonal.

Because of the importance of this phenomenon our aim in this scientific investigation is not only to give more explanation in order to definite the concept

according to its reality and to show its different kinds but also to show its impacts on individual and society.

Key Words: Work; children; education; school dropout; health.

المخلص:

إن ظاهرة عمل الأطفال من المشكلات الاجتماعية التي عرفت في الجزائر خاصة مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، فالمتجول في شوارع ومدن الوطن يلاحظ أعدادا كبيرة من الأطفال يمارسون نشاطات اقتصادية غير رسمية خاصة في ميدان التجارة، وامتدت إلى مجالات اجتماعية أخرى كالمقاهي والمطاعم و حظائر السيارات وحتى في بعض الورشات الحرفية كالنجارة و الحدادة.

إن عدد الأطفال العاملين في الجزائر اليوم في تزايد مستمر إلا أن الإحصائيات الرسمية تقلل من أهمية هذه الظاهرة غير القانونية، الظرفية الموسمية في غالب الأحيان.

ونظرا لأهميتها وتوسعها فإننا أردنا تسليط الضوء عليها، بهدف التدقيق في مفهومها، ومعرفة واقعها ومظاهرها وأثارها على مستوى الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: العمل؛ الأطفال؛ التربية؛ التسرب المدرسي؛ الصحة.

مقدمة:

إن المشاركة غير الرسمية للأطفال في الحياة الاقتصادية من الظواهر التي انتشرت في الجزائر حيث نجدهم في الشوارع والورشات الحرفية و الصناعية، يمارسون مختلف النشاطات إما في التجارة أو الصناعة أو الفلاحة وحتى في الخدمات المنزلية. الإحصائيات الخاصة بها نسبية وغير دقيقة نظرا لطبيعتها، حيث أن الأطفال العاملين غير مسجلين ضمن قوائم العمال الرسمية و المعتمدة ومنه فإن انتشار هذه الظاهرة هو أكبر بكثير مما تدل عليه

الإحصائيات، حيث شهدت توسعا كبيرا خاصة في المناطق الحضرية والمدن الكبرى، أين ينشط الأطفال في أعمال بسيطة وموسمية وغير متخصصة، والكثير منهم يعملون بعد ساعات الدراسة، ومنهم من انقطع عنها نهائيا خاصة في ظل انتشار الفقر وانخفاض الدخل والقدرة الشرائية، إذ زادت حاجة الأسر إلى مساعدة أطفالها في الحصول على قوت يومها.

إن هذه الظاهرة محل اهتمام الكثير من الباحثين والمنظمات المحلية والدولية نظرا لأهميتها وخطورتها، الأمر الذي جعلنا نتساءل عن مفهومها، وواقعها في الجزائر، وما هي أنماطها وآثارها الاجتماعية والتربوية والصحية؟

تعرضنا في هذا المقال إلى تطور الظاهرة في الجزائر منذ وقت الاستعمار حيث كانت منتشرة في المدن والأرياف وارتبطت بالظروف العامة التي سادت البلاد، كوجود فوارق واسعة بين المعمرين ومختلف فئات المجتمع الجزائري، غير أنه و بعد الاستقلال، ومع ظهور مجانية التعليم سمح هذا لفئات واسعة من الأطفال بالدخول للمدارس. كما تعرضنا إلى واقع عمل الأطفال في الجزائر، خاصة مع التغييرات السوسيواقتصادية بعد تطبيق برامج إعادة الهيكلة الاقتصادية التي فرضها صندوق النقد الدولي، وما تبعه من تسريح للعمال، وارتفاع لأسعار المواد ذات الاستهلاك الواسع، ومنه انخفاض المستوى المعيشي. كما سلطنا الضوء على أهم أنواع النشاطات التي يمارسها الأطفال، والآثار الناتجة عنها من الناحية التربوية، خاصة بالنسبة للمسار المدرسي، أو لعملية التنشئة الاجتماعية. إضافة إلى الأخطار الصحية التي يتعرض لها الطفل في بيئة العمل خاصة في الورشات الصناعية والحرفية التي تعرضه للكثير من الأمراض. وقد تطرقنا أيضا إلى أهم الآثار الاجتماعية للظاهرة كانتشار الانحراف، وتعاطي المخدرات، والجريمة في المجتمع، مما قد يكسب الطفل قيم اجتماعية وثقافية غير سوية.

أولا: نبذة تاريخية عن عمل الأطفال في الجزائر

اختلفت مظاهر عمل الأطفال في الجزائر بحسب ظروف كل مرحلة زمنية، ففي الفترة الاستعمارية ارتبطت بالظروف العامة التي سادت

البلاد والتميزة بالضغط الاستعماري ووجود فوارق واسعة بين المعمرين ومختلف فئات المجتمع الجزائري.

"ففي الأرياف نجد من الأطفال من كانوا يساعدون عائلاتهم في النشاطات الفلاحية، أي خدمة قطعة الأرض الصغيرة التي يمتلكونها، أو بالعمل في المساحات الواسعة التي يمتلكها المعمرين" (بن أشنهو عبد اللطيف، 1979: 135).

أما في المدن فلم يكن هناك اختلاف في الظروف المحيطة بالعمل فالاختلاف الوحيد كان يكمن في نوعيته "فالأطفال القاطنين بالمدن ارتبطت أعمالهم بطبيعة المدينة المختلفة عن الريف، فانتشرت ظاهرة بيع الجرائد ومسح الأحذية وزجاج السيارات أو نقل مشتريات المعمرين من الأسواق إلى بيوتهم" (بن أشنهو عبد اللطيف، 1979: 135).

دفعت الظروف السيئة التي أوجدها الاستعمار الفرنسي الجزائريين إلى إقحام أبنائهم في العمل للمساعدة على مواجهة الفقر، خاصة مع انتشار الأمية الناتجة عن القوانين المرتبطة بالتعليم العمومي الفرنسي، "فموجب مرسوم الجمهورية الفرنسية الثالثة، المؤرخ في 1983.02.13، أغلقت السلطات الفرنسية أزيد من ألف مدرسة" (زرهوني الطاهر، 1993: 11)

بعد الاستقلال حدثت تغيرات كبيرة وعلى عدة مستويات، منها البرامج الاقتصادية التنموية، ورفع المستوى المعيشي بالإضافة إلى ظهور سياسة التعليم المجاني التي سمحت لفئات واسعة من الأطفال بالدخول إلى المدارس عكس ما كان عليه الأمر في السابق، إذ لم يكن يلتحق بها إلا أبناء المستوطنين، وفئة قليلة من الجزائريين الذين سمحت لهم الظروف.

بتمركز التصنيع بالمدن و المناطق الحضرية الكبرى وما تلاه من انتقال عشوائي للعائلات الريفية صوبها، ظهر شكل جديد من أشكال عمل الأطفال وهو المرتبط بالظروف السيئة للعائلات المستقرة بالضواحي، فمن آثار هذه الهجرة على الأسر النازحة نجد لجوء الأطفال إلى ميادين العمل المختلفة كالتجارة ببعض المواد الاستهلاكية أو بيع التبغ في شوارع وأزقة المدن .

ثانيا: مفهوم عمل الأطفال

إن العمل هو ذلك الجهد أو الطاقة الجسدية و الذهنية المبذولة لأداء مهمة معينة بغرض تلبية حاجات الإنسان للحفاظ على حياته، وهذا المفهوم هنا لا يفرق بين العمل الذي يؤجر عليه الإنسان والذي لا يؤجر عليه، وفي حالة الحصول على الأجر فما هي نوعيته؟ ومن أي جهة يتم الحصول عليه؟ وهل يتفق كل من الطفل و الراشد في أداء نشاط واحد يمكن إطلاق لفظ العمل عليه؟ وما هي الأنشطة التي يؤديها الطفل ويمكن أن نطلق عليها مفهوم عمل الأطفال؟ للإجابة على هذه التساؤلات يمكننا إعطاء بعض التعاريف لعمل الأطفال من أجل تحديدها:

"إن عمل الطفل هو ذلك العمل أو الشغل مهما كانت شروطه وطبيعته، الذي يعود بالضرر المعتبر على الطفل من النواحي العقلية والصحية والأمنية" La commission des droits de l'homme (8).

أي أنه النشاط الذي يقوم به الطفل و يشكل له خطورة إما من الناحية الجسمية أو النفسية والاجتماعية أو الأمنية. كما يُعرف على أنه "حالة يجد فيها الطفل نفسه مجبرا على العمل نظرا لعوامل أسرية واجتماعية واقتصادية" (Khiati Mostefa, 2006: 11).

في هذه الحالة يكون الطفل مجبرا من طرف أسرته على ممارسة أي عمل للمساهمة في زيادة دخلها، نتيجة الفقر أو التفكك الأسري أو أي ظرف غير طبيعي يطراً عليها.

وحسب المنظمة العالمية للشغل (OIT) ومكتب العمل الدولي (BIT) سنة 2002 فإن "عمل الأطفال هو كل النشاطات التي تحرم الأطفال من طفولتهم وكرامتهم وتؤدي نموهم الجسدي والنفسي، إنها كل الأعمال التي تلحق الضرر بالصحة والنمو الجسدي والعقلي و الأخلاقي والاجتماعي للطفل، وتعرض تربيته للخطر بحرمانه من التعليم وتجبره على مغادرة المدرسة، أو على الجمع بين النشاطات المدرسية والعملية وهذا يشكل لهم مشقة كبيرة" (Khiati Mostefa, 2006: 12 - 13).

هنالك اختلاف كبير في تحديد مفهوم عمل الأطفال، خاصة بالنسبة للذين يساعدون أسرهم منذ الصغر، مثل ما هو معروف في الأرياف، كرعي الأغنام أو جني المحاصيل الزراعية وحتى المساعدة في بعض الأعمال الفلاحية، أما في المناطق الحضرية ينشط الأطفال في تجارة الأرصفة والأسواق، وهنا يرى البعض أن مساعدة الطفل لأسرته إن ظلت في إطارها المحدد كمساعدة يقدمها الطفل في وقت الفراغ، دون تهديد مساره التعليمي وصحته النفسية والاجتماعية و الجسمية، لا تدخل في إطار ما نعنيه بعمل الأطفال في هذا المقام.

هناك ثلاث فئات من الأطفال العاملين، فنجد في بعض الأسر من يمارس نشاطات زراعية كجني المحاصيل دون تقاضي أي أجر بالمقابل، ونجد من يعمل عند الغير ويتقاضى أجرا نقديا، إضافة إلى فئة الأطفال المتدربين، المقيدون بالتعليم و يعملون موسميا خارج أوقات الدراسة أو في العطل المدرسية.

يرى البعض أيضا أن عمل الأطفال هو "كل أشكال النشاط الاقتصادي الذي يمارسه الأطفال ويحرمهم من كرامتهم و يضر بنموهم الطبيعي، الجسدي والنفسي، ويدخل في النشاط الاقتصادي، العمل السري والعمل غير المصرح به والعمل في القطاع غير المهيكل أي غير الرسمي، كما أن عمل الأطفال يشمل العمل الضار الذي يستغل فيه الطفل العامل والعمل الأكثر بساطة" (وزارة التشغيل ومنظمة العمل الدولية، 2004: 25).

إن عمل الأطفال قد يأخذ بعدا إيجابيا خاصة بالنسبة للأعمال التطوعية أو حتى المأجورة رمزيا وتكون مناسبة لسن الطفل و قدراته الجسمية، حيث يمكن أن تتعكس ايجابيا على نموه الجسمي والعقلي والنفسي، خاصة إذا قام بها باستمتاع، حيث يكتشف من خلالها المسؤولية والتعاون والتسامح والتطوع مع الآخرين، أما العمل السلبي فهو الذي يهدد سلامة وصحة ورعاية الطفل ويضع أعباء ثقيلة على كاهله، وهو أيضا ذلك العمل الذي يستخدم الأطفال ولا يساهم في تنميتهم، بل يعيق تعليمهم وتدريبهم ويغير حياتهم و مستقبلهم.

من خلال ما سبق، يمكننا القول أن عمل الأطفال هو كل نشاط يقوم به الطفل في سن مبكرة وغير قانونية من أجل الحصول على كسب مادي

أو غير مادي، منتظم أو غير منتظم، سواء كان في المجال الزراعي أو الصناعي أو التجاري أو الهامشي، المشروع أو غير المشروع وقد يمارسه الطفل بمفرده أو مع أفراد أسرته، ويعود عليه بالضرر الجسمي التربوي النفسي الاجتماعي.

ثالثا: عمل الأطفال في الجزائر اليوم

عرفت ظاهرة عمل الأطفال في الجزائر توسعا كبيرا جدا و ذلك تزامنا مع التغيرات السوسيواقتصادية التي حدثت نتيجة الانتقال من الاقتصاد المخطط إلى اقتصاد السوق عبر برامج إعادة الهيكلة الاقتصادية التي فرضها صندوق النقد الدولي على الكثير من الدول و من بينها الجزائر، في مطلع التسعينات، وما تبعه من خصخصة للمؤسسات و تصفية أعداد كبيرة منها، الأمر الذي أنتج تسريح أعداد كبيرة من العمال من المؤسسات العمومية، إضافة إلى رفع الدولة دعمها للكثير من المواد الاستهلاكية والذي نتج عنه ارتفاع مذهب للأسعار، ومنه انخفاض للمستوى المعيشي إن لم نقل إفقار فئات واسعة من المجتمع، إذ أصبحت الكثير من الأسر مصنفة تحت خط الفقر بعد تسريح رب الأسرة من العمل الذي كان يسترزق منه و يعيل أسرته.

الكثير من المفكرين الاجتماعيين أكدوا أن للفقر آثارا سلبية على المجتمع منها انتشار مظاهر الفساد والانحراف وخروج الأطفال للشوارع.

"إن وضع العائلة من الناحية الاقتصادية هو بيت القصيد في إرسال الطفل إلى سوق العمل بدلا من المدرسة وهو ما أكدته مختلف الأبحاث حول هذا الموضوع، فقد تأكدت الأطروحة القائلة بأن الفقراء هم الذين يرسلون أطفالهم إلى سوق العمل بحثا عن دخل أكبر لمواجهة متطلبات العيش" (عبد الله أحمد، 1995: 19).

البعض يعمل وهو مازال يدرس، والبعض الآخر توقف عن الدراسة نهائيا و تفرغ للحياة العملية، إما بتشجيع من المجتمع أو من قبل والديه.

"أما رسميا فإن الظاهرة منعدمة تقريبا، ويمكن تفسير ذلك بمرسوم إجبارية التعليم الذي تبنته الجزائر بعد الاستقلال، كما يمكن إرجاعه

إلى نوعية العمل الممارس غير المصرح به ، لا من قبل الأولياء ولا من قبل الأطفال أنفسهم، وذلك لأنها تعتبر مسألة شرف عند العائلات الجزائرية" (34: Saib Musette, 1988) .
كما أن هذا العمل ممارس مؤقتا، حيث يعمل الطفل كمساعد للعائلة، وهذه المساعدة لا تعتبر عملا بل تعتبر واجبا بالنسبة للابن في وقت فراغه من المدرسة، أو في العطل المدرسية.
"في الجزائر أصبحت ظاهرة عمل الأطفال تقريبا عادية لأننا نراها في كل مكان وخاصة في القطاع الموازي، كبايعي السجائر والأشياء المختلفة والمواد الغذائية والخبز على طول الشوارع والطرق والأسواق وحراسا للسيارات أو غسلها...ونجدهم حتى في بعض الورش الحرفية، بحجة التمهين **Apprentissage**، وفي المناطق الريفية نجدهم في الفلاحة أو الرعي" (khiati Mostefa, 2006: 43).

حسب إحدى المنظمات العالمية للطفولة في بروكسل، وفي دراسة لها فإن عدد الأطفال العاملين في الوطن العربي قارب 4.5 مليون طفل، وفي الجزائر وحدها يوجد ما يقارب 1.8 مليون طفل عامل، 1.3 مليون منهم تتراوح أعمارهم بين 6 إلى 13 سنة أي 70%، و 56% منهم هم إناث، و 15.4% هم يتامى الأب أو الأم، 52.1% منهم يقطنون بمناطق ريفية (43: Khiati Mostefa, 2006).
"وبناء على إحصائيات مكتب العمل الدولي في 1995 فقد قدرت نسبة الأطفال العاملين من 10 إلى 14 سنة ب 1.6% من إجمالي عدد الأطفال لهذه الفئة في الجزائر" (44: Mostefa, 2006).

رابعا: أنماط عمل الأطفال في الجزائر

عرفت الجزائر منذ الاستقلال توسعا كبيرا في ظاهرة النزوح الريفي نتيجة قلة النشاطات الاقتصادية في المناطق الريفية بالإضافة إلى الفقر الذي مس فئات اجتماعية واسعة، الأمر الذي جعل من عمل

الأبناء الصغار ضرورة حتمية في كثير من العائلات الريفية خاصة وأن نسبة التمدرس في الأرياف هي اقل مقارنة بالمناطق الحضرية. "حيث كان هناك 7 من 10 أطفال عاملين هم في قطاع الفلاحة سنة 1966م، وفي سنة 1984م أصبحوا 8 من 10 أطفال" (Saib Musette, 1988: 36).

ونتيجة التغيير الاجتماعي ظهرت أنواع من العمل و اختفت أنواع أخرى فمثلا "مسح الأحذية ظاهرة قد اختفت وظهرت مهنة عامل بالمنزل أو رعاية الصغار بالنسبة للإناث وبيع مختلف المواد بالنسبة للذكور، كما يمكن أن نجدهم أي الذكور في بعض المؤسسات الصناعية الخاصة غير الرسمية" (السويدي محمد، 1990: 176). يمارس الأطفال أعمالا تتراوح بين البساطة والهامشية والظرفية، وتتم في أغلب الأحيان في ظروف صعبة، بسبب نقص خبرتهم وضعف قدراتهم، فحسب دراسة قام بها مرصد حقوق الطفل ODE حول ظاهرة عمل الأطفال في الجزائر في ثمانية ولايات وسط البلاد وهي بومرداس، تيزي وزو، البويرة، بجاية، تيبازة، البليدة وعين الدفلة بالإضافة طبعا إلى الجزائر العاصمة، وكان حجم العينة فيها 2979 طفلا عاملا مستجوبا وهي أكبر عينة للدراسة حول هذه الظاهرة في الجزائر إلى يومنا هذا، توزعت أنواع الأعمال التي يمارسها الأطفال كما يلي (Khati Mostefa, 2006: 65):

- أعمال فلاحية: وقد مثلت نسبة 10% وكانت أعلى نسبة فيها يعملون رعاة بـ 7.21% ثم تليها نسبة 2.1% يعملون في الفلاحة كجني المحاصيل أو الغرس أو السقي و أحيانا حتى في حراسة الحقول ثم البقية يعملون في تربية الحيوانات.

- أعمال تجارية حرة: وهذه مثلت تقريبا أعلى نسبة في هذه الدراسة 50% حيث كانت تجارة التبغ والسجائر هي السائدة بـ 13.77%، ثم بيع الخبز بـ 12.96% ثم يأتي بيع الخضر والفواكه بـ 8.97% وتأتي نشاطات أخرى عدة بنسب متفاوتة كبيع الملابس والفول السوداني وبيع الحليب والمحاجب والجراند والهواتف النقالة والحلويات

والورود وبيع الزلابية وقلب اللوز خاصة في بعض المواسم كشهر رمضان، وبيع العصافير في الأسواق الأسبوعية.
- **العمل في قطاع النقل:** وشكل هذا القطاع 2% في هذه الدراسة إذ نجد الكثير من الأطفال يعملون في حافلات النقل العمومي كقباض **Receveur** بنسبة 2.92%، إضافة إلى مهنة حارس سيارات أو غسلها.

- **قطاع التمهين Apprentissage:** والذي شكل 8% وكانت أعلى نسبة فيه عند صنف الحلاقة أي مساعد حلاق بـ 3.15%، ومساعد في ميكانيك السيارات بـ 2.71%، بالإضافة إلى نشاطات أخرى كغسيل الملابس أو الخبازة أو مساعد مجوهراتي أو مساعد جزار أو اسكافي.
- **أعمال تشكل خطورة على الطفل:** وكانت نسبتها 4% في هذه الدراسة ومثلت أعلى نسبة فيها العمل في قطاع البناء أي مساعد بناء، أو الصيد في البحار أو جمع البلاستيك في المفرغات أو المنازل.
- **أعمال أخرى:** وشكلت 5%، أو كما يعرف بالعامية (**بريكول Bricolage**)، مثل النوادل ومساعد في المنازل أو قباض في قاعة ألعاب. نجد أيضا في الجزائر نوعا آخر من النشاطات وهي أعمال البادية، هذه الأخيرة التي تعتبر تجمعا معهودا لسكان الصحراء، يدعون بالبدو ونشاطاتهم تعتمد أساسا على التنقل ورعي الأغنام، إذ يستعينون بأبنائهم الصغار في كثير من النشاطات، "فنجند مثلا عند بدو الطوارق أن الابن لدى بلوغه الخامسة من العمر، يدفع مع إخوته لتعلم رعي الأغنام كما أن دخوله سن السادسة يعتبر انتقالا من داخل المخيم إلى حياة أكثر شمولية تتميز بتعلم تفصيل ملابسهم والتحكم في صناعة الأشياء من الجلود" (السويدي محمد، 1990: 89).

خامسا: آثار عمل الأطفال

لعمل الأطفال آثار عديدة ومن نواحي كثيرة إذ يجد الطفل نفسه في بيئة جديدة وهي بيئة العمل و تتمثل في غالب الأحيان في الشارع حيث تجمعها علاقات مع أفراد لا خيار له في اختيارهم أو انتقائهم.

"فهناك أنواع معينة من الأعمال تعرض من يمارسها للتعرف على أنماط كثيرة من الناس كالعامل في الأماكن العامة، المقاهي ومحلات تناول الخمور والمخدرات و تجارة الأرصفة وغيرها، ولا شك أن مثل هذه المهن تتيح المجال للأطفال لتعلم فنون الجريمة والاحتيال، خاصة إذا كان هؤلاء الأطفال بعيدين عن رقابة الأسرة" (جعفر محمد علي، 1984: 60).

إن الطفل ينشأ بالشكل السليم في حالة ما إذا راعى المحيطون به قدراته الجسمية وإمكاناته الذهنية، فإذا توجه إلى سوق العمل نتيجة لأي ظرف من الظروف فقد يؤدي هذا الأمر إلى وقوع خلل في عملية التنشئة الاجتماعية .

في دراسة قام بها باحث فرنسي (لويس بيرون Louise Biron)، سنة 1977م في كندا على عينة من الأطفال المتمدرسين ، وربط بين ظاهرة العمل والانحراف وجد أن هناك نسبة كبيرة من المنحرفين يعملون بالمساء خارج أوقات الدراسة أو في نهاية الأسبوع (Maurice Cusson, 1987 : 181)

من خلال ما سبق يمكننا تصنيف أهم آثار ظاهرة عمل الأطفال على النحو التالي:

- الآثار التربوية: إن الطفولة مرحلة هشة تتطلب عناية خاصة وفائقة تضمن النمو والتكامل بصفة متوازنة، ومن هنا فإن تقويض المقومات الأساسية التي ينبغي لكل طفل أن يتمتع بها في سبيل نموه السوي، من شأنه أن يقوده للوقوع فريسة للاضطرابات النفسية والتربوية وحتى الجسدية. غالبا ما يضطر الطفل العامل إلى معايشة ظروف وأوضاع بالغة الخطورة، ناهيك عن المعاملة القاسية العنيفة التي قد يتلقاها من أرباب العمل، إذ يتقن بعضهم في تعذيبهم و توجيه الإساءات اللفظية والجسدية إليهم، وقد تصل إلى مستوي الاستغلال الجنسي، تلك الإساءات تترك بصماتها على الأجساد الغضة للأطفال، وتتجاوز ذلك لتوجيه صدمات بالغة الخطورة على أمنهم واستقرارهم النفسي.

كما أن عمل الأطفال قد يؤدي إلى التسرب المدرسي أو الرسوب كأقل ضرر، إذ تدفع ظروف العمل غالبا إلى إهمال الدروس والعجز على مواجهة متطلبات الدراسة، ما يزيد من قابلية التسرب، هروبا من

الأساليب والأنماط التدريبية التلقينية القمعية التسلطية في كثير من الأحيان. فالتسرب المدرسي يرتبط بالكثير من القضايا الاقتصادية والاجتماعية إلا أننا هنا نركز على عمل الطفل، رغم إجبارية التعليم في الجزائر. ويعتبر ارتفاع معدل التسرب المدرسي في مرحلة التعليم الابتدائي من أهم المشكلات التي تزيد من نسب الأمية في المجتمع. فقد "أظهرت بعض الدراسات انخفاض مستوى التعليم بشكل ملحوظ بين أسر الأطفال العاملين، حيث تبلغ نسبة أمية الآباء 63% والأمهات 80.5%... ويسهم في ذلك انخفاض وعي أسر الأطفال بأهمية التعليم، في انخفاض وتدني قيمة التعليم لديهم، ويؤكد هذا الوضع وجود علاقة عكسية بين عمل الأطفال والحالة التعليمية في أسرهم" (عبد الفتاح أماني، 2001: 99).

"إن غالبية الأطفال الذين التحقوا بالعمل في كافة البلدان العربية أو غير العربية قد انقطعوا عن الدراسة والتعليم، أو لم يلتحقوا أصلا، وارتفاع حجم الظاهرة في الوطن العربي يزيد من عدد الأميين والهامشيين في المجتمع في الأجيال القادمة، مما سيؤدي إلى نتائج أممية واجتماعية غاية في الخطورة" (عسيري عبد الرحمن بن محمد، 2014: 118).

وبطبيعة الحال يبذل أصحاب العمل في البداية قصارى جهدهم لجذب الأطفال واستدراجهم لسوق العمل، الأمر الذي يجعل منهم يتسربون بمستوى من القيم والأخلاق لا يتلاءم مع سنهم ولا مع القيم الاجتماعية السائدة.

- **الآثار الصحية:** يشكل عمل الأطفال مخاطر صحية عدة، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة تكوين الطفل الجسمية والعقلية والنفسية، فقد يجد نفسه مرغما على العمل في أماكن قدرة تعرضه لمختلف الأمراض، دون أي حماية أو ضمان في حالة إصابته بأي حادث من حوادث العمل، فالطفل الذي يعمل بقطاع الفلاحة يتعرض لعدة أخطار كحرارة الشمس، الرياح، البرد، الأمطار والجليد، وحتى المواد الكيميائية المستخدمة في الفلاحة. أما من يعمل في ميدان الصناعة يتعرض لأخطار أخرى ناتجة عن الآلات المعقدة التي لا يستطيع استخدامها جيدا، مما قد يؤدي به أحيانا للإعاقة الجسدية أو فقدان أحد

أصابه أو يديه، كما أن الضوضاء الشديدة خاصة في بعض الورش تنتج آثارا سلبية على حاسة السمع لدى الطفل، أو ما يسمى بالصمم الميكر بالإضافة إلى عدم التركيز، وبعض الآثار على الجهاز العصبي و أمراض مستعصية ومزمنة أخرى بسبب الظروف غير الصحية التي يعملون بها، يضاف إلى ذلك النقص الكبير في الغذاء الذي من شأنه مضاعفة احتمالات إصابتهم الجسدية والمرضية.

"وحسب دراسة أقيمت في المغرب، فإن 59% من الأطفال المشتغلين هم معرضون لللانتهاك العضلي والعظمي بسبب تعاملهم أثناء العمل مع آلات وأجهزة وسلع تحتاج لجهد عضلي كبير وأن 23% يرفعون حمولات تتراوح بين 5 إلى 10 كلغ و 36% يرفعون أثقالا تتجاوز أوزانها 10 كلغ وذلك في عمليات متكررة وتوتر عالي بسبب ضغط الوقت، علما بأنهم يقومون بهذه الأعمال في وضعيات جسمية متعبة بنسبة 49% أو متعبة جدا بنسبة 22%" (بوعلي مبارك، 2005-2006: 61).

هناك أعمال تتطلب وضع الجسم في شكل منحني أو في وضعيات غير مريحة لساعات طويلة قد تتعدى 12 ساعة في اليوم، "فقد أشارت الإحصائيات إلى أن 72% من الأطفال العاملين في خدمات المنازل ومعظمهم من الإناث يبدؤون عملهم من الساعة السابعة صباحا، وأن 95% منهم لا يتوجهون إلى النوم إلا بعد الساعة 11 مساء، وبالإضافة إلى ساعات العمل الطويلة وانخفاض الأجور، فإن بعض هؤلاء الأطفال يتعرضون للإساءة البدنية والتحرش الجنسي من قبل أصحاب الأعمال أو القائمين عليهم" (بوعلي مبارك، 2005-2006: 61).

بعض الأعمال تجبر الطفل على التحرك و التنقل من مكان لآخر، حيث "يضطر 39% من الأطفال العاملين إلى التنقل بشكل دائم لمكان العمل و 20% ينتقلون بمعدل عالي، دون أن ننسى الوسط المهني الذي يشتغلون به والذي يفتقر غالبا لأدنى شروط السلامة الصحية خصوصا في مجال أعمال الشوارع كالتجارة بأنواعها" (بوعلي مبارك، 2005-2006: 61).

في دراسة قام بها أحمد بدران تعرض خلالها إلى الجوانب الصحية في عمالة الأطفال، وجد أن "ثلث الأطفال العاملين في عينة الدراسة تقل أعمارهم عن 12 سنة وأن 88% منهم يعملون أكثر من 12 ساعة يوميا في بيئة عمل متدنية في أغلب الأحيان، كعدم توفر مياه الشرب النظيفة، وارتفاع درجة الحرارة وسوء التهوية وغياب وسائل الوقاية من مخاطر العمل، كما لا يحصل الأطفال أثناء العمل على تغذية مناسبة، فيتناولون أحيانا أغذية فاسدة وملوثة، كما تبين أن أغلب هؤلاء الأطفال يستمرون في العمل رغم مرضهم ولا يتلقى أغلبهم علاجاً مناسباً، وهم غير مؤمنين من إصابات العمل" (رمزي ناهد ، 1998: 78).

وبالكشف الطبي على عينة الدراسة تبين أن 21.8% من هؤلاء الأطفال قد أصيبوا بمرض البلهارسيا و 22.8% منهم أصيبوا بحالات إسهال مزمن و 21.9% أصيبوا بأعراض بعض الأمراض المزمنة و 2.8% يعانون من آثار نزلة شعبية حادة (رمزي ناهد، 1998: 79).

- الآثار الاجتماعية: يرى الكثير من المختصين أن جل الأطفال العاملين ينقطعون نهائياً عن الدراسة والتعليم الأمر الذي يزيد من أعداد الأميين والهامشيين في المجتمع في الأجيال القادمة مما سيؤدي إلى نتائج أمنية واجتماعية غاية في الخطورة (عسيري عبد الرحمن بن محمد، 2014: 118).

الكثير من أصحاب العمل يفضلون صغار السن من الأطفال للعديد من الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية التي سبق الإشارة إليها مثل انخفاض الأجور والطاعة العمياء وعدم المطالبة بالحقوق، مثل هذه الحالة تؤدي إلى تضاعف نسب البطالة في المجتمع ومنه ظهور العديد من الإختلالات الاجتماعية.

إن هذه الظاهرة قد تخلق بعض العادات الضارة لدى الطفل كتعاطي المخدرات والتدخين واكتساب عدة سلوك أخرى غير سوية كالانحراف الأخلاقي الذي يتعلمه من رفاق السوء. فمعدلات الجريمة مثلا تزيد في الدول التي ترتفع فيها معدلات عمل الأطفال، إذ أن

هؤلاء الأطفال عادة ما نجدهم دون أي وازع ولا رقيب، ويختلطون بمن هم أكبر منهم سناً، فينخرطون في بعض شبكات العصابات المنظمة، وغالباً ما يعملون في مجالات السرقة وتجارة المخدرات وحتى في الدعارة أحياناً، حيث "أشارت دراسة لرادا بارنين في 1997م عن الأطفال العاملين في اليمن أن أكثر من 32% من الذين شملهم المسح يتعاطون القات (عشب مخدر معروف في اليمن)، بعضهم يتعاطونه إلى 3 مرات يومياً، وبعض المرات مصحوب بالتدخين من 10 إلى 20 سيجارة يومياً، كما أنهم يعانون من شروط العمل التي ترغمهم للبقاء لمدة طويلة بعيداً عن رقابة عائلاتهم مما يعرضهم للجريمة وشرب الكحول" (عسيري عبد الرحمن بن محمد، 2014: 115).

من ناحية اجتماعية أخرى فإن وجود هذه الظاهرة الاجتماعية في أي مجتمع يؤثر سلباً على خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، حيث لا تتماشى مع متطلبات سوق العمل من حيث السن والمهارة، لأن التنمية الاقتصادية تعتمد على يد عاملة ذات كفاءة وخبرة، وليس على الأطفال، حيث تؤدي إلى ضعف إنتاجية الفرد وعدم قدرته على البحث عن فرص عمل جديدة مما يؤدي إلى البطالة المقنعة. بالنسبة للأسرة فقد تجد نفسها في مواجهة قيم جديدة يأتي بها الطفل العامل من الشارع، هذه القيم هي في غالب الأحيان مبنية على أسس مادية اكتسبها من الربح السريع الذي يتلقاه مقابل أعماله ونشاطاته التجارية.

تمثل هذه الظاهرة نتيجة لتراكم مجموعة من العوامل والظروف التي تصيب النسق الأسري، ومنه المجتمع ككل، فالانتشار الواسع لها، ما هو إلا دلالة على فشل الأسرة والمجتمع على حد سواء في توفير ظروف مناسبة لتنشئة الطفل بشكل سليم، كما أنها تعد مؤشراً من مؤشرات التخلف الاجتماعي، ومظهراً مشوهاً للعمران والتحضر، وبالتالي يعطي صورة سيئة عن شكل المدينة وثقافتها وتقاليدها .

خاتمة:

إن عمل الأطفال في الجزائر أصبح واسع الانتشار لكن من الصعب إحصاؤه وحصره لطبيعته غير الرسمية، حيث نجد الكثير من الأطفال

يمارسون أعمالا عدة تعود بالضرر على نموهم الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي، نظرا لطبيعة ميدان العمل وما يحمله من قيم ثقافية واجتماعية تنعكس على عملية التنشئة الاجتماعية للطفل، ومستقبله التعليمي. قد يعمل الطفل بمحض إرادته في العطل المدرسية دون المساس بمستقبله التعليمي، هنا يشكل موردا ماليا إضافيا يساعد الأسرة على توفير مختلف الحاجيات، خصوصا في الأسر ذات الدخل المحدود، حيث تنخفض القدرة الشرائية، مما يؤثر على الدور الطبيعي للأسرة كمؤسسة اجتماعية ليصبح الطفل مورد دخل لحمايتها من الانهيار، عن طريق ممارسة أي نشاط في سن مبكر يعود عليه بالفائدة المادية، نتيجة تراكم العديد من العوامل والظروف التي تصيب النسق الأسري ومنه المجتمع ككل. بناء على ما سبق يمكننا طرح بعض التوصيات والاقتراحات للحد من الظاهرة، أهمها:

- ضرورة التنفيذ الصارم للاتفاقيات الدولية والتوصيات الملحقة بها حول حماية الطفل.
- تفعيل دور مفتشيات العمل وتطوير أساليبها لمكافحة الظاهرة .
- وضع قوانين رادعة لكل من يستغل الطفل في العمل.
- نشر الوعي في صفوف الأسر بأهمية التعليم ومكانته ودوره في النهضة و التقدم.

قائمة المراجع:

1. أحمد عبد الله، (1995). الأطفال الكادحون: ظاهرة عمل الأطفال في مصر، القاهرة: دار الطباعة المتميزة.
2. أماني عبد الفتاح، (2001). عمالة الأطفال كظاهرة اجتماعية ريفية، ط1. القاهرة : عالم الكتب.
3. بوعلي مبارك، (2006-2005). تشغيل الأطفال وعلاقته بالانحراف، ديبلوم الدراسات العليا المتخصصة في (علوم التربية)، جامعة محمد الخامس، المغرب.
4. الطاهر زرهوني، (1993). التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، الجزائر: موفم للنشر والتوزيع .
5. عبد الرحمن بن محمد عسيري، (2014). تشغيل الأطفال والانحراف، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع.

6. عبد اللطيف بن أشنهو، (1979). **تكون التخلف في الجزائر، الجزائر:** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
7. محمد السويدي، (1990). **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، الجزائر:** ديوان المطبوعات الجامعية.
8. محمد علي جعفر، (1984). **الأحداث المنحرفون، بيروت:** المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.
9. ناهد رمزي، (1998). **ظاهرة عمالة الأطفال في الدول العربية، القاهرة:** المجلس العربي للطفولة والتنمية.
10. وزارة التشغيل ومنظمة العمل الدولية واليونسيف والبرنامج الدولي للقضاء على تشغيل الأطفال، (2004). **تشغيل الأطفال بايجاز، المغرب:** IPEC.
11. Maurice Cusson, (1981). **Délinquants pourquoi,** Montréal: les Editions Hurtubise HMH.
12. Mostefa Kiati, (2006). **Le travaille des enfants en Algérie,** Alger: Edition FOREM.
13. Musette Saib, (1988). **Bilan de la demande sociale d'emploi,** Alger: CREAD.
14. La Commission des droits de L'homme, protection d'exploitation du travaille des enfants.

للإحالة على هذا المقال:

صالي عبد العزيز، نصيب نعيمة (2022)، «عمل الأطفال في الجزائر: الواقع والآثار». **المواقف، المجلد: 18، العدد: 01، أوت 2022، ص.ص 128-144.**